شرح
رسالة العبودية

المجلس الخامس

فضيلة الشيخ
عبد اللّه الغنيمان
-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس الخامس

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين.

قال المصنف رحمه الله في رسالة العبودية: [وَيُقَال: الطمع غل فِي الْعُنُق قيد فِي الرجل فَإِذا زَالَ الغل من الْعُنُق زَالَ الْقَيْد من الرجل. ويروى عَن عمر بن الْخطاب رضى الله عَنهُ أَنه قَالَ: الطمع فقر واليأس غنى وَإِن أحدكُم إِذا يئس من شئ اسْتغنى عَنهُ.

وَهَذَا أَمر يجده الْإِنْسَان من نَفسه فَإِن الْأَمر الَّذِي ييأس مِنْهُ لَا يَطْلُبهُ وَلَا يطْمع فِيهِ وَلَا يبْقى قلبه فَقِيرا إِلَيْهِ وَلَا إِلَى من يَفْعَله وَأما إِذا طمع فِي أَمر من الْأُمُور ورجاه فَإِن قلبه يتَعَلَّق بِهِ فَيصير فَقِيرا إِلَى حُصُوله وَإِلَى من يظنّ أَنه سَبَب فِي حُصُوله وَهَذَا فِي المَال والجاه والصور وَغير ذَلِك قَالَ الْخَلِيل صلى الله عَلَيْهِ وَسلم [١٧ العنكبوت] : ﴿فابتغوا عِنْد الله الرزق واعبدوه واشكروا لَهُ إِلَيْهِ ترجعون﴾ .

فَالْعَبْد لَا بُد لَهُ من رزق وَهُوَ مُحْتَاج إِلَى ذَلِك فَإِذا طلب رزقه من الله صَار عبدا لله فَقِيرا إِلَيْهِ وَإِذا طلبه من مَخْلُوق صَار عبدا لذَلِك الْمَخْلُوق فَقِيرا إِلَيْهِ وَلِهَذَا كَانَت مَسْأَلَة الْمَخْلُوق مُحرمَة فِي الأَصْل وَإِنَّمَا أبيحت للضَّرُورَة وَفِي النهى عَنْهَا أَحَادِيث كَثِيرَة فِي " الصِّحَاح " و " السّنَن " و " المسانيد " كَقَوْلِه صلى الله عَلَيْهِ

وَسلم: «لَا تزَال الْمَسْأَلَة بأحدكم حَتَّى يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة وَلَيْسَ فِي وَجهه مزعه لحم » وَقَالَ: « من سَأَلَ النَّاس وَله مَا يُغْنِيه جَاءَت مَسْأَلته يَوْم الْقِيَامَة خدوشا أَو خموشا أَو كدوشا فِي وَجهه» وَقَوله: «لَا تحل الْمَسْأَلَة إِلَّا لـذِي غـرم مفظـع أَو دم موجع أَو فقر مدقع»، وَهَذَا الْمَعْنى فِي " الصَّحِيح " وَفِيه أَيْضا: « لِأَن يَأْخُذ أحدكُم حبله فَيذْهب فيحتطب خير لَهُ من أَن يسْأَل النَّاس أَعْطوهُ أَو منعُوهُ » وَقَالَ: « مَا أَتَاك من هَذَا الْمَال وَأَنت غير سَائل وَلَا مستشرف فَخذه وَمَا لَا فَلَا تتبعه نَفسك » فكره أَخذه مَعَ سُؤال اللِّسَان واستشراف الْقلب وَقَالَ فِي الْحَدِيث الصَّحِيح: « من يسْتَغْن يغنه الله وَمن يستعف يعفه الله وَمن يتصبر يصبره الله وَمَا أعطي أحد عَطاء خيرا وأوسع من الصَّبْر ».

وَأوصى خَواص أَصْحَابه أَلا يسْأَلُوا النَّاس شَيْئا وَفِي " الْمسند ": (أَن أَبَا بكر كَانَ يسْقط السَّوْط من يَده فَلَا يَقُول لأحد: ناولني إِيَّاه وَيَقُول: إِن خليلي أَمرنِي أَلا أسأَل النَّاس شَيْئا) وَفِي " صَحِيح مُسلم " وَغَيره عَن عَوْف بن مَالك أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بَايعه فِي طَائِفَة وَأسر إِلَيْهِم كلمة خُفْيَة: « أَن لَا يسْأَلُوا النَّاس شَيْئا » فَكَانَ بعض أُولَئِكَ النَّفر يسْقط السَّوْط من يَد أحدهم وَلَا يَقُول لأحد: ناولني إِيَّاه].

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وبعد.

نسأل الله جل وعلا أن يصلي ويسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحابته و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، فالحقيقة أن الإنسان عبارة عن القلب، عن قلبه، والقلب هو الملك، ملك الأعضاء كما سبق ذلك في الصحيحين عن نبي الله ﷺ حديث ابن مسعود، وفي حديث النعمان بن بشير: « **وإن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد**»، وهذا لأن النيات والمقاصد التي تصدر من القلب هي أساس العمل، وهي التي توجه الإنسان، ولهذا أخبر الله جل وعلا أنه لا ينجوا يوم القيامة من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، القلب السليم هو الذي يسلم من الشرك بالله جل وعلا والتعلق بغيره، من أتى بقلب متعلق بالله وحده فهذا الذي يسلم من عذاب الله جل وعلا، لهذا ذكر أن القلب هو ملك الأعضاء، وهو الذي يتصرف في ميول الإنسان وأعماله، ولهذا صار أصل ا لعمل بالنيات، كما قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية**»، لهذا الأساس، فإذا كان القلب خالصا لله جل وعلا تبعه العمل، ولهذا الأمر من رحمة الله جل وعلا ما ذكر في هذه الأحاديث، أن الله جل وعلا حرم مسألة المخلوق، فهذا صيانة للعبد المؤمن، يصونه الله جل وعلا أن يذل لمخلوق، أو يأخذ شيئا من عبودية قلبه، لأنه معروف أن المنة والعطاء تستعبد القلب، ولو من جانب، فإذا كثرت استعبدته، فلهذا حرمت المسألة، مسألة المخلوق، إلا في الأمر الضروري كما أشارت إليه هذه الأحاديث، إلا فقر مدقع، يعني الشيء الضروري كما في حديث قبيصة،

إما أن يتحمل حملات للإصلاح بين الناس، وإما أن يصاب بجائحة تجتاح ماله، وإما يصاب بفاقة لا يجد ملجأ منها، وهذه أيضا مسألة في مثل هذه الأمور موقتة، يقول: تحل له المسألة حتى يجد سدادا من العيش أو قواما من العيش، ثم تعود حراما، فهي محرمة، لهذا ذكر العلماء أن الذي يتعود المسألة، أنها قد تؤول بها إلى عبادة المخلوق، ثم يختم له بالسيء، كما ذكر ابن ا لقيم الجواب الكافي قضايا كثيرة وينقلها عن غيره، منهم من إذا قيل له: قل لا إله إلا الله، يمد يده يقول: فليس، فليس لأنه تعود أن يسأل الناس، فيموت على ذلك نسأل لله العافية، فالمقصود أن القلب هو الإنسان في الحقيقة، فيجب أن يكون القلب تعلق بربه جل وعلا وحده، وإذا جاء التعلق فالمقصود فعل القلب، ونقول: إن هذه الأمور التي ذكرها الرسول ﷺ هي تفسير لكلام الله، وهي من رحمة الله، فقول الله جل وعلا: ﴿فابتغوا عند الله الرزق وا عبدوه﴾، تأمل ابتغوا عند ا لله، إذا قدم المعمول على العامل فهو يدل على الحصر والقصر على هذا الشيء، أنه لا تطلب الرزق من عند غيره، وإن كان ربنا جل وعلا جعل أسباب تعمل، ولكن الأسباب لا يعتمد عليها، ولا ينافي هذا قول الرسول ﷺ: «من صنع لكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه عليه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه»، بل هذا يتفق معه لماذا؟ لأن المكافأة تزيل التعلق، لهذا كان سنته أنه يقبل الهدية، ولكن يكافأ عليها أكثر منها، مع الصدقة لا يقبلها، كما هو معروف

من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه، وكل هذا ليسلم قلب العبد لله جل وعلا ويكون قلبا سليما حتى ما يتعلق بالمخلوق نعم.

القارئ: [وَقد دلّت النُّصُوص على الْأَمر بِمَسْأَلَة الْخَالِق وَالنَّهْي عَن مَسْأَلَة الْمَخْلُوق فِي غير مَوضِع كَقَوْلِه تَعَالَى [٧ الشَّرْح] : ﴿فَإِذا فرغت فانصب ۙ وَإِلَى رَبك فارغب﴾ وَقَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لِابْنِ عَبَّاس: «إِذا سَأَلت فأسال الله واذا استعنت فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، وَمِنْه قَول الْخَلِيل [١٧ العنكبوت] : ﴿فابتغوا عِنْد الله الرزق﴾ وَلم يقل: فابتغوا الرزق عِنْد الله لِأَن تَقْدِيم الظّرْف يشْعر بالاختصاص والحصر كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَبْتَغُوا الرزق إِلَّا عِنْد الله وَقد قَالَ تَعَالَى [٣٢ النِّسَاء] : ﴿واسألوا الله من فَضله﴾].

الشيخ: وهذا مثل قوله جل وعلا: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فقدم المعمول على العامل، ليدل على أنه لا تجوز العبادة لغير الله، ولا الاستعانة بغيره في مثل هذا، الاستعانة على العبادة، يجب أن تكون لله جل وعلا، وقوله: ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾، المعنى إذا لم تكن مشغولا إما بمرض أو بشيء يمنعك من العمل، فانصب يعني اعمل، ويكن العمل لله، وليكن العمل فيه الرغبة في الله جل وعلا، فهذا يتضمن الرجاء والخوف لله جل وعلا، أما كونه جل وعلا يأمرنا بسؤاله، فهو لأنه كريم ولأننا عبيده، ومن مقتضى ربوبيته أن يربنا بما نحتاج إليه ويعطنا، ولهذا يرزق الكافر والفاجر الذي يتقوى

بالرزق على المعاصي، فقال الرسول ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يجعلون له الولد ويرزقهم ويعافيهم**»، ذلك لحلمه ولأنه الرب، والرب مقتضى الربوبية أنه يرب عباده بما يصلحهم ويقوم على حياتهم، وإن كانوا عصاة، نعم.

القارئ: [وَالْإِنْسَان لابد لَهُ من حُصُول مَا يحْتَاج إِلَيْهِ من الرزق وَنَحْوه وَدفع مَا يضرّهُ].

الشيخ: نعم ولكنه يجب أن يطلبه من الله، ليكون في طلبه للرزق عابدا لله جل وعلا، ولا يجوز أن يكون تعلقه على الأسباب، أن ينظر إليها على أنها هي التي هي مصدر رزقه، سواء كانت تجارة أو صناعة أو وظيفة أو من يبذل له الشيء، ويرى أنه هذا الذي يأتيه الرزق منه، هذا سبب، والسبب جعله الله جل وعلا سببا، فيجب أن يعلم أن الذي رزقه هو الله جل وعلا، وإذا شاء منع ذلك تعالى وتقدس، فيجب أن يكون طلبه من الله في كل ما يحتاج إليه، سواء من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة، كما أنه أيضا لا يجوز أن تكون أمور الدنيا مستولية على قلبه، الحب والعمل، كما سبق أن الرسول ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم**»، وبين أن العبادة بأنها العمل، أنه إذا أعطي رضي وإذا منع سخط، يعني أنه يكون يعمل للدينار والدرهم أو القطيفة أو ا لخميصة، والواجب أن يكون هذا العمل الذي يعمله يعني حصوله على الدنيا للتقوي بها على عبادة الله، ولأنه أيضا عليه واجبات وعليه أشياء يقوم بها، أوجبه الله جل عليه من

نفقة أو يعني نفقة على نفسه أو من تلزمه نفقته، أو حقوق تلزمه على الغير، ويعمل على هذه الصفة، وتكون هذه يعني طلبه بهذا الشيء يعمله وفق ما أمره الله جل وعلا، فيكون عابدا لله في كل تصرفاته، بخلاف إذا ما كان المال غاية، والأمور الأخرى وسائل له، فإن هذا يكون عابدا للمال نعم.

القارئ: [وكلا الْأَمريْنِ شرع لَهُ أَن يكون دعاؤه لله فَلَا يسْأَل رزقه إِلَّا من الله وَلَا يشتكي إِلَّا إِلَيْهِ كَمَا قَالَ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام [٨٦ يُوسُف] : ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بثى وحزنى إِلَى الله﴾ .

وَالله تَعَالَى ذكر فِي الْقُرْآن الهجر الْجَمِيل والصفح الْجَمِيل وَالصَّبْر الْجَمِيل وَقد قيل: إِن الهجر الْجَمِيل هُوَ هجر بِلَا أَذَى والصفح الْجَمِيل صفح بِلَا معاتبة وَالصَّبْر الْجَمِيل صَبر بِغَيْر شكوى إِلَى الْمَخْلُوق].

الشيخ: هذه صفة أولياء الله مثل الأنبياء وأتباعهم، أما آحاد الناس لا يصلون إلى مثل هذا الشيء، إلا من شاء الله جل وعلا، ولكن نقول: هذا الكمال، وإذا قصر عنه العبد، فينبغي له أن يجتهد إذا أمكنه ذلك، أن يجتهد أن يكون مقتديا بأولياء الله جل وعلا، وأن يكون عبدا خالصا لله جل وعلا، ولابد من المخالفات، ولابد من التقصير، والذي مثلا يتصور أن هناك من لا يعتريه قصور ولا يقع في مخالفة، فهذا تصور غير واقع، لأن ابن آدم خلق ناقصا، خلق فقيرا، فأصله أنه هلوع، إذا مسه الشر جذوعا وإذا مسه الخير منوعا، وكذلك

أصله أنه ظلوم جهول، وهو إنما يتهذب بالأخلاق التي تأتي بها الرسل، فإذا كمل يكون من أتباع الرسل، وإذا نقص فالله جل وعلا أكثر من ذكر أسمائه العفو والغفور والتواب والرحيم وغير ذلك، ولا يمكن أن يكون تواب وليس هناك من يتوب، ولا عفو ولا هناك من لا يعفى عنه، هذا ممتنع مستحيل، فلابد من ظهور آثار أسماء الله على عباده جل وعلا، نعم.

القارئ: [وَلِهَذَا قرئَ على أَحْمد بن حَنْبَل فِي مَرضه: إِن طاوسا كَانَ يكره أَنِين الْمَرِيض وَيَقُول: إِنَّه شكوى فَمَا أنّ أَحْمد حَتَّى مَاتَ].

الشيخ: هذا قول بعض العلماء أنه شكوى، والأنين في الواقع ليس شكوى، وإنما هو المريض كأنه يجد راحة إذا أن، وإلا فقلبه لا يشكوا لله جل وعلا، قد يكون أيضا ذاكرا لله جل وعلا وشاكرا له في ذلك، والإمام أحمد رحمه الله من الورع أنه لم سمع هذا صار لا يأن حتى مات، فقول طاووس: إن الأنين شكوى، يعني أنه يشكوا الله بأنينه، وهذا غير صحيح، قد يكون بعض الناس هذا، ولكن مثل الإمام أحمد وغيره الذين يعرفون أن المنة لله جل وعلا في كل شيء، وأن العبد ملك لله يتصرف فيه كيف يشاء، ما يكون ذلك شكوى، وإنما يرتاح بكونه يئن، كما هو معروف عند الناس بهذا الشيء، إنما هذا مصدره القلب نعم.

القارئ: [وَأما الشكوى إِلَى الْخَالِق فَلَا تنَافِي الصَّبْر الْجَمِيل فَإِن يَعْقُوب قَالَ [٨٣ يُوسُف] : ﴿فَصَبر جميل﴾ وَقَالَ [٨٦ يُوسُف] : ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بثى وحزنى إِلَى الله﴾] .

الشيخ: الشكوى إلى الله دعاء وعبادة، عبادة لله جل وعلا، كدعائه إلى الله المشتكى، والرسول ﷺ كان في كل حالاته يفزع إلى ربه جل و علا، في كل حالاته كان إذا حضر القتال يقول: «اللهم بك أستعين وبك أقاتل وبك أصول وأجول»، وكان يتبرأ من الحول والطول، ويقول: «اللهم لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، فإنك إن تكلني إلى مخلوق تكلني إلى ضيعة وعوزة»، فهذه شكوى، شكوى ظاهرة، وهي دعاء وعبادة، عبادة لله جل وعلا نعم.

القارئ: [وَكَانَ عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ يقْرَأ فِي الْفجْر بِسُورَة يُونُس ويوسف والنحل فَمر بِهَذِهِ الْآيَة فِي قِرَاءَته فَبكى حَتَّى سمع نَشِيجه من آخر الصُّفُوف].

الشيخ: أنه مر بهذه القراءة في آخر خلافته، مر بهذه القراءة: ﴿إنما أشكوا بثى وحزنى إلى الله﴾، فصار يبكي نعم.

القارئ: [وَمن دُعَاء مُوسَى: " اللَّهُمَّ لَك الْحَمد وَإِلَيْك المشتكى وَأَنت الْمُسْتَعَان وَبِك المستغاث وَعَلَيْك التكلان وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك "].

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله، إلا بك كله سواء نعم.

القارئ: [وَمن دُعَاء مُوسَى: " اللَّهُمَّ لَك الْحَمد وَإِلَيْك المشتكى وَأَنت الْمُسْتَعَان وَبِك المستغاث وَعَلَيْك التكلان وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك ". وَفِي الدُّعَاء الَّذِي دَعَا بِهِ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لما فعل بِهِ أهل الطَّائِف مَا فعلوا: " «اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضعف قوتي وَقلة حيلتي وهواني على النَّاس يَا أرْحم الرَّاحِمِينَ أَنْت رب الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنت رَبِّي اللَّهُمَّ إِلَى من تَكِلنِي؟ إِلَى بعيد يتجهمني»].

الشيخ: إلى بعيد، الظاهر أن فيها همزة ، همزة استفهام، أألى بعيد يتجهمني، لأنه جاء بعدها، أم إلى عدو ملكته أمري، نعم، معنى يتجهمني، أيش لون؟ نعم.

القارئ: [«إِلَى بعيد يتجهمني أم إِلَى عَدو ملكته أَمْرِي؟ إِن لم يكن بك غضب عَلَيّ فَلَا أُبَالِي غير أَن عافيتك أوسع لي أعوذ بِنور وَجهك الَّذِي أشرقت بِهِ الظُّلُمَات وَصلح عَلَيْهِ أَمر الدُّنْيَا وَالْآخِرَة أَن ينزل بِي سخطك أَو يحل عَلَيّ غضبك لَك العتبى حَتَّى ترْضى فَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ " وَفِي بعض الرِّوَايَات: " وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك» "].

الشيخ: هذا فيه دليل على إثبات وجه الله جل وعلا وأن له نور قال: « أعوذ بنور وجهك»، ونور وجه الله جل وعلا صفته، فالاستعاذة تكون بالصفات والأسماء، أسمائه جل وعلا، ولا يقال هذا إنه يدل على دعوة الصفة أو الاسم، لأن الصفة ليست إله، كما يقول بعض الناس: يا رحمة الله، يا عزة الله، هذا لا يجوز، لأنه حتى بعض العلماء أفتى أن هذا من الكفر، لأن دعاء الله جل وعلا أمر حتم واجب من العبادة، والصفة ليست إلها فيدعى، وإنما يدعى بها رب العالمين، تقول: أسألك برحمتك، كما قال هنا: أعوذ بنور وجهك، والاستعاذة والسؤال كلاهما عبادة، نعم.

القارئ: [وَفِي بعض الرِّوَايَات: " وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك ". وَكلما قوي طمع العَبْد فِي فضل الله وَرَحمته ورجائه لقَضَاء حَاجته وَدفع ضَرُورَته قويت عبوديته لَهُ وحريته مِمَّا سواهُ فَكَمَا أَن طمعه فِي الْمَخْلُوق يُوجب عبوديته لَهُ فيأسه مِنْهُ يُوجب غنى قلبه نَظِيره، وَأفضل على من شِئْت تكن أميره، وَاحْتج إِلَى من شِئْت تكن أسيره].

الشيخ: هذا كلام قديم معروف عند العرب، كلام معروف وهو من الحكم، استغني عمن شئت تكون نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت أو قال: افتقر إلى من شئت تكن أسيره، هذا مأخوذ من التجربة تجربة الواقع، وذلك أن الأسر هو أسر القلب، فمن كان قلبه أسيرا فهو أسير في

الحقيقة، ولهذا قد يكون القلب أسيرا لشهوة أو لمثلا من يـراد منـه الـشهوة ومـا أشبه ذلك، فيصبح تاركا لعبادة الله جل وعلا، ومؤثرا لهذا الذي يحبـه ويعـشقه على عبادة الله، فيكون فيه شقاؤه، ويكون هذا من أعظم البلاء وأعظم العـذاب العاجل ثم العذاب الآجل، و يجب على العبـد أن يكـون متحريـا مـا يطلبـه الله منه، وساعيا فيه جهده، ومجتنبا الأسباب التي قد تأسر قلبه نعم.

القارئ: [فَكَذَلِك طمع العَبْد فِي ربه ورجاؤه لَهُ يُوجب عبوديتـه لَـهُ وإعـراض قلبه عَن الطّلب من الله والرجاء لَهُ يُوجـب انـصراف قلبـه عَـن الْعُبُودِيَّـة لله لَا سِيمَا من كَانَ يَرْجُو الْمَخْلُوق ولايرجو الْخَالِق بِحَيْثُ يكون قلبه مُعْتَمدًا إِمَّا عـلى رئاسته وَجُنُوده وَأَتْبَاعه ومماليكه وَإِمَّا عـلى أَهلـه وأصـدقائه وَإِمَّـا عـلى أَمْوَالـه وذخائره وَإِمَّا على ساداته وكبارئه كمالكه وَملكه وَشَيْخه ومخدومه وَغَيرهم مِمَّن هُوَ قد مَاتَ أَو يَمُوت قَالَ تَعَالَى [٥٨ الْفرْقَان] : ﴿وتوكل على الْحَيّ الَّذِي لَا يَمُوت وَسبح بِحَمْدِهِ وَكفى بِهِ بذنوب عباده خَبِيرا﴾ .

وكل من علق قلبه بالمخلوقين أَن ينصروه أَو يرزقوه أَو أَن يهدوه خضع قلبه لَهُم وَصَارَ فِيهِ من الْعُبُودِيَّة لَهُم بِقـدر ذَلِـك وَإِن كَـانَ فِي الظَّـاهِر أَمِـيرا لَهُـم مُـدبرا لأمورهم متصرفا بهم فالعاقل ينظر إِلَى الْحَقَائِق لَا إِلَى الظَّوَاهِر فالرجل إِذا تعلق قلبه بِامْرَأَة وَلَو كَانَت مُبَاحَة لَهُ يبْقى قلبه أَسِيرًا لَهَا تحكم فِيهِ وتتصرف بِـمَا تُرِيـدُ وَهُوَ فِي الظَّاهِر سَيِّدهَا لِأَنَّهُ زَوجهَـا أَو مَالِكهَـا وَلكنـه فِي الْحَقِيقَـة هُـوَ أَسِـيرهَا

ومملوكها وَلَا سِيمَا إِذا علمت بفقرة إِلَيْهَا وعشقه لَهَا وَأَنه لَا يعتاض عَنْهَا بغَيْرهَا فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تتحكم فِيهِ تحكم السَّيِّد القاهر الظَّالِم فِي عَبده المقهور الَّذِي لَا يَسْتَطِيع الْخَلَاص مِنْهُ بل أعظم فَإِن أسر الْقلب أعظم من أسر الْبدن واستعباد الْقلب أعظم من استعباد الْبدن].

الشيخ: هذه مباحة له، فكيف إذا كانت محرمة، فيكون الجرم أعظم، والشقاء أتم نسأل الله العافية، وهذا يحصل كثيرا لكثيرا من الناس، مع أنه قد يكون عنده ما يغنيه عن هذا وهو الغالب، وهذا لأن القلب إذا تعلق بغير الله فإن الله الغالب أنه يعرض عنه، ويكله إلى ما تعلق عليه، ثم يتمكن ذلك من قلبه ويتم الشقاء، فهذا جربه الناس نسأل الله العافية نعم.

القارئ: [فَإِن من استبعد بدنه واسترق وَأسر لَا يُبَالِي إِذا كَانَ قلبه مستريحًا من ذَلِك مطمئنًا، بل يُمكنهُ الاحتيال فِي الْخَلَاص.

وَأما إِذا كَانَ الْقلب الَّذِي هُوَ ملك الْجِسْم رَقِيقا مستعبدا متيما لغير الله فَهَذَا هُوَ الذل والأسر الْمَحْض والعبودية الذليلة لما استعبد الْقلب.

وعبودية الْقلب وأسره هِيَ الَّتِي يَتَرَتَّب عَلَيْهَا الثَّوَاب وَالْعِقَاب فَإِن الْمُسلم لَو أسره كَافِر أَو استرقه فَاجر بِغَيْر حق لم يضرّهُ ذَلِك إِذا كَانَ قَائِما بِمَا يقدر عَلَيْهِ من

الْوَاجِبَات وَمن استعبد بِحَق إِذا " أدّى حق الله وَحقّ موَالِيه فَلهُ أَجْـرَانِ " وَلَـو أكره على التَّكَلُّم بالْكفْر فَتكلم بِهِ].

الشيخ: كونه استعبد بباطل، لأنه قد يستعبد الإنسان بباطل، ولا حيلة له، فـإذا كان قلبه سليما لله جل وعلا لا يضره هذا، لأن هذا مؤقت وينتهـي، إمـا ينتهـي بأنه مثلا يتخلص من هذا الظالم، أو ينتهي بالموت، فيرتـاح مـن ذلـك فينـسى، ينسى هذا الشيء، لكن إذا كان الاستعباد استعباد القلب، سواء كان الاسـتعباد لشيء في الأصل أنه مباح مثل مال حلال أو غيره الذي يكتـسبه مـن جهـة غـير محرمة، أو مخلوق صورة ونحوها، أو كان مثلا محرما فيكـون الجـرم مـضاعف، فهذا هو الهلاك العاجل، الذي لا يرجى بعده خلاص نسأل الله العافية نعم.

القارئ: [وَلَو أكره على التَّكَلُّم بالْكفْر فَتكلم بِهِ وَقَلبه مطمئن بِـالْإِيمَان لم يـضرّهُ ذَلِك وَأما من استُعبد قلبه فَصَارَ عبدا لغير الله فَهَذَا يضرّهُ ذَلِك].

الشيخ: هذا من فضل الله جل وعلا، كونه إذا مثلا أرغم على الكفر أنه يجوز لـه أن يتكلم بالقلب موافقة لمن يطلب منه ذلك ويكرهه عليه فداء لنفـسه تخليـصا لنفسه، ولكن بشرط أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان نعم.

القـارئ: [فَهَـذَا يـضرّهُ ذَلِـك وَلَـو كَـانَ فِي الظَّـاهِر ملـك النَّـاس.

فالحرية حريَّة الْقلب والعبودية عبودية الْقلب كَمَا أَن الْغنى غنى النَّفس قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: " لَيْسَ الْغنى عَن كَثْرَة الْعرض وَإِنَّمَا الْغنى غنى النَّفس ".

وَهَذَا لعَمْرو الله إِذا كَانَ قد استبعد قلبه صُورَة مُبَاحَة. فَأَما من استعبد قلبه صُورَة مُحرمَة امْرَأَة أَو صبي فَهَذَا هُوَ الْعَذَاب الَّذِي لَا يدانيه عَذَاب].

الشيخ: عذاب في الدنيا ويترتب عليه عذاب الآخرة نعم.

القارئ: [وَهَؤُلَاء عشاق الصُّور، من أعظم النَّاس عذَابا وَأَقلهمْ ثَوابًا، فَإِن العاشق لصورة إِذا بَقِي قلبه مُتَعَلقا بهَا مستعبدا لَهَا اجْتمع لَهُ من أَنْوَاع الشَّرّ وَالْفساد مَا لَا يُحْصِيه إِلَّا رب الْعباد].

الشيخ: وهذا شيء قد عرفه الناس، بأن العاشق يتعلق قلبه بالمعشوق حتى يغنيه ذلك ويموت، وهو عبادة نسأل الله العافية، ولو عبد لذلك، لأنه أصل الأول سهل ثم صار ازداد حتى صار ما يملك لنفسه شيء، لهذا كانوا يسمون مثل هذا مجنون، ليس مجنونا ولكنه جن بعبادة هذا المعشوق نعم.

القارئ: [وَلَو سلم من فعل الْفَاحِشَة الْكُبْرَى فداوم تعلق الْقلب بهَا بِلَا فعل الْفَاحِشَة أَشد ضَررا عَلَيْهِ مِمَّن يفعل ذَنبا ثمَّ يَتُوب مِنْهُ وَيَزُول أَثَره من قلبه].

الشيخ: أي أنه إذا وقع في الفاحشة ثم قلبه تخلص من ذلك وتاب، عسى أن يكون قلبه يبقى أسيرا لهذا المخلوق، لهذه الصورة امرأة أو صبي أو ما أشبه ذلك، حتى يموت على هذا، فإن هذا نوع عبادة لهذه الصورة، فإن كانت امرأة أو صبي أو غير ذلك نعم.

القارئ: [وَهَؤُلَاء يشبّهون بالسكارى والمجانين كَمَا قيل:].

الشيخ: لأنه الحب يغلب على العقل، فيصبح العقل كأنه مغطى، ولهذا قالوا: أنه شبه السكران أو المجنون، يطلق عليه أنه مجنون، كما قيل: مجنون ليلى، لأنه أحبها وعشقها، فصار كأنه مجنون، وفي النهاية قتله العشق، وكم من واحد قتله العشق، كثير جدا، نعم.

القارئ: [سُكران سُكر هوى وسُكر مدامة ... وَمَتى إفاقة من بِهِ سُكران؟].

الشيخ: سكر هوى يعني العشق، والمدامة الخمر، إذا اجتمع هذا وهذا فمتى يفيق؟ نعم.

القارئ: [وَقيل: قَالُوا جُننتَ بِمن تهوى فَقلت لَهُم ... الْعِشْق أعظم مِمَّا بالمجانين الْعِشْق لَا يستفيق الدهرَ صاحبُه ... وَإِنَّمَا يُصرع الْمَجْنُون فِي حِين وَمن أعظم أَسبَاب هَذَا الْبلَاء إِعْرَاض الْقلب عَن الله فَإِن الْقلب إِذا ذاق طعم عبَادَة الله].

الشيخ: من هنا نعرف أن العشق لا يحدث إلا من قلب غافل، أما من كان عارفا لله جل وعلا محبا لله، فلا يقع في مثل هذا، نعم.

القارئ: [فَإِن الْقلب إِذا ذاق طعم عبَادَة الله وَالْإِخْلَاص لَهُ لم يكن عِنْده شَيْء قطّ أحلى من ذَلِك وَلَا ألذ وَلَا أمتع وَلَا أطيب وَالْإِنْسَان لَا يتْرك محبوبا إِلَّا بمحبوب آخر يكون أحب إِلَيْهِ مِنْهُ أَو خوفًا من مَكْرُوه فالحب الْفَاسِد إِنَّمَا ينْصَرف الْقلب عَنهُ بالحب الصَّالح أَو بالخوف من الضَّرَر.

قَالَ تَعَالَى فِي حق يُوسُف [٢٤ يُوسُف] : ﴿كَذَلِك لنصرف عَنهُ السوء والفحشاء إِنَّه من عبادنَا المخلصين﴾].

الشيخ: المخلصين والمخلصين هي قراءتان، المخلصين يعني الذين خلصهم الله جل وعلا من كل كرب وكل بلاء، أو خلصهم جعلهم خلاصة من عبادة، اتخذهم خلاصة من عبادة، ولا شك أن الأنبياء خلاصة الخلق، المخلصين الذين أخلصوا لله جل وعلا في العبادة، ويكون دليل على أن الإخلاص منجاة، وسبب لأنه إذا وقع في مشكلة أنه ينجوا منها نعم.

القارئ: [فَالله يصرف عَن عَبده مَا يسوؤه من الْمَيل إِلَى الصُّور والتعلق بهَا].

الشيخ: وهذا يعني، يعني حالة يوسف حالة عجيبة لأنه أولا كان في البيت، وكان هو المطلوب، يعني ثم فيه عوامل كثيرة، ومع ذلك امتنع أشد الامتناع،

فكل هذا بفضل الله، لأنه كما قال الله جل وعلا: ﴿لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾، والفحشاء هي الزنا وما يتصل به، والسوء أعم من هذا، كل ذنب فهو سيء، فكانت عاقبته حميدة، وإن كان، ومع ذلك رمته بما هو طاهر منه، فلما أتاها زوجها قالت: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ـ فقال هى راودتنى﴾، فهل يصدق هو؟ هو مستضعف ومستعبد، ولكن قيد الله جل وعلا من يصرف عنه، ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾، فبين، ومع ذلك كله ما كان عند الزوج الغيرة التي يغار بها، ويحزم الموضوع، فقال لزوجته: استغفري لذنبك، وقال ليوسف: أعرض عن هذا، هذا الذي قال، فبقيت المشكلة كما هي أو أشد نعم.

القارئ: [وَلِهَذَا يكون قبل أَن يَذُوق حلاوة الْعُبُودِيَّة لله وَالْإِخْلَاص لَهُ بِحَيْثُ تغلبة نَفسه على اتِّبَاع هَواهَا فَإِذا ذاق طعم الْإِخْلَاص وَقَوي فِي قلبه انقهر لَهُ هَوَاهُ بِلَا علاج.

قَالَ تَعَالَى [٤٥ العنكبوت] : ﴿إِن الصَّلَاة تنهى عَن الْفَحْشَاء وَالْمُنكر وَلذكر الله أكبر﴾ فَإِن الصَّلَاة فِيهَا دفع مَكْرُوه وَهُوَ الْفَحْشَاء وَالْمُنكر وفيهَا تَحْصِيل مَحْبُوب].

الشيخ: هو المعنى أن عبادة الله جل وعلا فيها الدفء، فإذا تعلق العبد بربه مخلصا، فإن الله يخلصه، ولهذا أخبر جل وعلا لما ذكر قصة يونس قال: ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾، يعني ليست خاصة به، المؤمنون هكذا، وهذا كثير فيما يذكر، إذا ذكر قضية من القضايا جعل هذا عاما، ليدل عباده على أن السبيل للنجاة من المشاكل والوقوع في المحرمات الإخلاص لله جل وعلا، وكذلك في أحاديث الرسول ﷺ، كما في حديث ابن عباس: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»، من كان يتعرف إلى ربه بعبادته وفي حالته بأن يعبده ويخلص له، ولا يراه فيما يكره ويحرم، فإن الله يكون معه ويوفقه ويخلصه من كل مشكلة يقع فيها، وليس معنى ذلك أنه لا يناله أذى، هذا لا يمكن في الدنيا، في الدنيا لابد فيها من الأذى ولابد فيها من البلوى، ولابد فيها من الأمراض ولابد فيها من الموت، ولكن ما يقع في شيء يهلكه ويأسره ويجعله عبدا لغير ربه جل وعلا، يستولي عليه أحد من شياطين الجن أو شياطين الإنس، فإن الله جل وعلا يكون عونا له في ذلك فيخلصه، فإذا وقع في شدائد وفي كربات تكون زيادة في رفعة درجاته عند الله جل وعلا، فإنه عبد لله جل وعلا، ويعلم أن هذا بتدبير الله، ثم يصبر ويحتسب لله جل وعلا، ويعلم أن هذه الدنيا لا تصفوا لأحد، فلابد فيها من البلاء، نعم.

القارئ: [وفيهَا تَحْصِيل مَحْبُوب وَهُوَ ذكر الله وَحُصُول هَذَا المحبوب أكبر من دفع ذَلِك الْمَكْرُوه فَإِن ذكر الله عبَادَة لله وَعبادَة الْقلب لله مَقْصُودَة لذاتها وَأما اندفاع الشَّرّ عَنهُ فَهُوَ مَقْصُود لغيره على سَبِيل التبع.

وَالْقلب خلق يحب الْحق ويريده].

الشيخ: ولكن هذا لابد منه، يعني لابد أن يسعى الإنسان إلى ما يتحصل به اللذة، والذي يتنعم به، ولابد أن يسعى إلى دفع ما فيه الألم النفسي، هذا أمر ضروري، ثم هذا يدلنا على أن هناك أسباب، أسباب لجلب المنافع، والملذات، وأسباب لدفع المؤذيات والمؤلمات، وهذه الأسباب من أين تأتي؟ فهي كلها الدافع للمؤذي المؤلم، والجالب للنافع المنعم كلها بيد الله، لابد من اللجوء إلى الله جل وعلا، لابد أن تطلب من الله جل وعلا، فمن عرف هذا واستعمله فإنه إن كان فيه خير ازداد خير، وإن كان فيه ألم شيء يؤلمه، فإنه يصبر ويكون أيضا في زيادة رفعة عند الله جل وعلا، والتوفيق بيد الله جل وعلا، هو الذي يتفضل على عبده بما يشاء نعم.

القارئ: [فَلَمَّا عرضت لَهُ إِرَادَة الشَّرّ طلب دفع ذَلِك فَإِنَّهَا تفْسد الْقلب كَمَا يفْسد الزَّرْع بِمَا ينْبت فِيهِ من الدغل.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى [٩-١٠ الشَّمْس] : ﴿قد أَفْلح من زكاها ۝ وَقد خَابَ من دساها﴾ وَقَالَ تَعَالَى [١٤-١٥ الْأَعْلَى] : ﴿قد أَفْلح من تزكّى ۝ وَذكر اسْم ربه فصلى﴾].

الشيخ: هو التزكي من الله في الواقع، ولكن له أسباب، أسباب بيد العبد، ولهذا قال: تزكى، وزكاها، يعني زكى نفسه، قد أفلح من زكى نفسه، وتزكية النفس لا يكون إلا بالعمل الصالح، بعبادة الله جل وعلا، والعمل بطاعته، لهذا يقول جل وعلا لدعوة الرسول كلهم: ﴿ولا تصلحوا في الأرض بعد إصلاحها﴾، فالإفساد في الأرض بالمعاصي، والإصلاح بالأنبياء، الأنبياء هم الذين جاءوا بإصلاح الأرض، فإذا جاء الفساد فهو بالمعاصي، وأعظم ما تكون الإفساد بعد الصلاح، إذا كانت صالحة ثم أفسدت، نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [٣٠ النُّور] : ﴿قل للْمُؤْمنين يغضوا من أَبْصَارهم ويحفظوا فروجهم ذَلِك أزكى لَهُم﴾].

الشيخ: لأن هذا الأصل وهو غض البصر وحفظ الفرج أصل، إذا تمسك به العبد نجا من أمور كثيرة، وعوضه الله جل وعلا نورا في بصره وبصيرته نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [٢١ النُّور] : ﴿وَلَوْلَا فضل الله عَلَيْكُم وَرَحمته مَا زكى مِنْكُم من أحد أبدا﴾ فَجعل سُبْحَانَهُ غض الْبَصَر وَحفظ الْفرج هُوَ أقوى تَزْكِيَة

للنَّفس وَبَين أَن ترك الْفَوَاحِش من زَكَاة النُّفُوس وَزَكَاة النُّفُوس تَتَضَمَّن زَوَال جَمِيع الشرور من الْفَوَاحِش وَالظُّلم والشرك وَالْكذب وَغير ذَلِك.

وَكَذَلِكَ طَالب الرِّئَاسَة والعلو فِي الأَرْض قلبه رَقِيق لمن يُعينهُ عَلَيْهَا].

الشيخ: هذا عطفا على ما سبق أن القلب يجب أن يكون سليما لله، ويجب ألا يتعلق بغير الله جل وعلا، لا من مال ولا من مخلوق، وهنا هذه المعاني، لأن التعلق قد يكون بعين، عين معينة، إما امرأة أو صبي، أو يكون بمال معين، والمعنى الثاني: أن يكون بمعنى يتعلق بمعاني بالرئاسة والعلو في الأرض، وكونه يكون مثلا مقدما للناس، وله تصرف وله أمر ونهي، فإن هذه من الأمراض أيضا، الأمراض التي قد لا يتحملها كل إنسان، إذا وصل إلى هذا تكبر وطغى وتكبر، كما قال جل وعلا: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾، والاستغناء يعني أنه يصل إلى شيء من هذا الحد، وهذا يسمى الشهوة الخفية، الشهوة الخفية هي الرئاسات والمناصب الكبيرة التي يرتفع بها عن الناس، وهذه قد لا يحتملها كل إنسان، بعض الناس إذا وصل إليها تصور أنها وصل إلى الغاية، أنه يجب أنه يعظم وأنه تكون فتنة له، نعم، وكل هذا مدعاة لترك الحق، ولهذا تجد مثلا في دعوات الرسل، أن الذين يردون عليهم الملأ، من هم الملأ؟ الملأ الذي تملئ مناظرهم المناظر، أصحاب الأبهات،

أصحاب الرئاسات الذين لهم مقام ولهم كلمة، كل الرسول قال: الملأ، الكبراء والذين لهم قادة، وهم الذين يقفون في وجه الحق غالبا، نعم.

القارئ: [وَلَو كَانَ فِي الظَّاهِر مقدمهم والمطاع فيهم فَهُوَ فِي الْحَقِيقَة يرجوهم ويخافهم فيبذل لَهُم الْأَمْوَال والولايات ويعفوا عَمَّا يجترحونه ليطيعوه ويعينوه فَهُوَ فِي الظَّاهِر رَئِيس مُطَاع وَفِي الْحَقِيقَة عبد مُطِيع لَهُم.

وَالتَّحْقِيق أَن كِلَاهُمَا فِيهِ عبودية للْآخر وَكِلَاهُمَا تَارِك لحقيقة عبَادَة الله وَإِذا كَانَ تعاونهما على الْعُلُوّ فِي الأَرْض بِغَيْر الْحق كَانَا بِمَنْزِلَة المتعاونين على الْفَاحِشَة أَو قطع الطَّرِيق فَكل وَاحِد من الشخصين لهواه الَّذِي استعبده واسترقه مستعبد للْآخر.وَهَكَذَا أَيْضا طَالب المَال فَإِن ذَلِك يستعبده ويسترقه.

وَهَذِه الْأُمُور نَوْعَانِ:

مِنْهَا مَا يحْتَاج العَبْد إِلَيْهِ كَمَا يحْتَاج إِلَيْهِ من طَعَامه وَشَرَابه ومسكنه ومنكحه وَنَحْو ذَلِك فَهَذَا يَطْلُبهُ من الله ويرغب إِلَيْهِ فِيهِ فَيكون المَال عِنْده يَسْتَعْمِلهُ فِي حَاجته بِمَنْزِلَة حِمَاره الَّذِي يركبه وبساطه].

الشيخ: كيف يعني من يكون بهذه المثابة؟ يكون المال يكون بمنزلة الحمار الذي يركبه ما يتعلق قلبه به، هل يتعلق قلبه بالحمار؟ سيأتي أنه يكون بمنزلة الفراش الذي يطئه بقدمه ويجلس عليه، هل فيه عاقل يتعلق قلبه مثلا بهذا الشيء؟

وسيأتي أنه يكون بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته، وهذا معناه أنه لا يجوز أن يكون للمال في القلب محل، لأنه اتخذ لقضاء الحاجة، ولسد الفقر وهو به يعبد ربه، ما يتعلق قلبه به، ولهذا الذي لا يصلون إلى هذا الأمر لا تجد عندهم شيء، تجدهم يقدمونه لأنفسهم، فإذا أمسك المال قد يكون ضارا، وإذا أنفق يكون نافعا، وأفضل الخلق رسولنا ﷺ، كان إذا عهد في بيته شيء يخفف الصلاة حتى يذهب يقسمه، كما جاء في الصحيح، أنه صلى ثم قام بسرعة وتخطى الناس، لأجل بيضة، فلما سألوه قال: «**ذكرت شيئا من التبر في البيت فكرهت أنه يبقى**»، يذهب يقسمه ويفرقه، ومات صلوات الله وسلامه عليه ودرعه مرهونة بآصاع لأهل صاع من شعير، مرهونة عند يهودي، فكان صلوات الله وسلامه عليه يدعوا ربه يكون جزئه قوت، يجوع يوما فيدعوا ربه، يشبع يوما فيشكر ربه، وتقول عائشة ﵂: أنه يمر الشهر والشهران ما أوقدت النار في بيت رسول الله، وفي رواية: في بيوت رسول الله ﷺ، وكان له تسعة بيوت، لأن كل زوجة لها بيت، قال لها من سمعها: ما تأكلون؟ قالت: الأسودان التمر والماء، ولا يتيسر لك حال، جاءه مرة ضيف ذهب به وأتى إلى إحدى بيوته قال: «**أعندكم شيء؟** »، قالوا: ما عندنا شيء، ثم ذهب إلى البيت الثاني والثالث والرابع، وكل واحدة تقول: ما عندنا شيء، فقال: «**من يضيف ضيف رسول الله ﷺ**»، ما عنده شيء، أفضل الخلق صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا لما دخل عمر ﵁ مرة عليه وهو نائم على حصير من سعف النخل، هذا

فراشه، نظر إليه قد أثر في جنبه صلوات الله وسلامه عليه، ثم نظر في البيت ما رأى شيء فبكى، قال: «ما يبكيك»، قال: أنت رسول الله، وفارس والروم ينعمون في نعيم الدنيا، وهذا بيتك ليس فيه شيء، وهذا فراشك الحصير أثر في جنبك، فقال: «أوفي شك أنت؟ لهم الدنيا ولنا الآخرة»، وقال: «مالي وللدنيا إن مثلي كمثل راكب قال تحت ظل دوحة ثم ذهب وتركها»، الدوحة الشجرة التي لها ظل، نظر إليه مرة جابر بن عبد الله وهو يعمل معهم في حفر الخندق، إذا تعسر عليهم شيء دعوه، فاعترضت لهم كدية يعني صفا ما استطاعوا يقطعوه، فقالوا: يا رسول الله هذه كدية، قال: «أنا نازل»، فنزل وهو حازم بطنه بحجر، حازم عليه حجر، نظر إليه جابر قال: ليس على هذا صبر، استأذنه قال: ائذن لي أنصرف إلى أهلي، وقصده يذهب ينظر هل عنده شيء أم لا؟ لأنهم الصحابة أيضا قد لا يكون عندهم شيء، ذهب إلى زوجته وقال: هل عندك شيء، قالت: عندي صاع من شعير لم يطحن، وعندنا بهمة، بهمة صغيرة، فذهب فذبح البهمة وقال: اطحني الشعير وسوف أدعوا رسول الله ﷺ واثنين معا، يعني طعام ثلاثة، فذهب إلى الرسول ﷺ وأخبره قال: تذهب معي أنت واثنين معي، ماذا صار؟ أمر ﷺ من ينادي منادي إن جابر ابن عبد الله يدعوكم للطعام، لأن الصحابة كلهم محتاجون، كيف يصنع؟ طعام ثلاثة والجيش كله يأتي إلى البيت، فلما قرب من البيت أسرع إلى زوجته وكانت عاقلة، قال لها: أتاك رسول الله والمسلمون ماذا تصنعين؟ قالت: هل علمته؟ قال: نعم، قالت: ثم عليك هو

أعلم، فلما جاء دخل قال: تفل في العجين وتفل في البرمة التي فيها اللحم وهي تطهو على النار ودعا ثم قال: قدموا لي كل عشرة، فصاروا يخبزون ويقدمون، حتى شبعوا عن آخرهم وبقي كما هو كأنه لم يؤخذ منه شيء، هذا شيء إذا طلب من الله شيء أعطاه، ومع ذلك لا يطلب، لأن الدنيا لا تساوي شيئا، فلهذا الصحابة أخذوا من هذه الأخلاق التي كان يتخلق بها صلوات الله وسلامه عليه، المقصود أن هذه حالة أشرف خلق الله، وهذه صفته، الدنيا لا تساوي عنده شيء، حتى أنه أحيانا إذا تحصل على غنائم يعطي الرجل مائة من الإبل، الرجل الواحد، وأحيانا مائتين وأحيانا ثلاثمائة، ولكن عطاؤه لله جل وعلا، يعطي الذي إذا أعطي يرغبه في الإسلام يسلم قومه، إذا أسلم، أسلم قومه، على كل حال، نقول: إن الإنسان في هذه الدنيا المؤمن يجب ألا يتعلق قلبه إلا بربه جل وعلا، وإذا كان كذلك فهو الغني، الذي سوف يحمد عاقبته، ولا يجوز أن يكون المال مستعبدا له، وفي وقتنا الحاضر الآن كثير من الناس صاروا يعبدون الدنيا، ويعرضون عن أمر الله جل وعلا، ويقدمون ملاذهم ويقدمون أموالهم على طاعة الله جل وعلا، وسوف يندمون، ولكن إذا كانت الندامة عندما يعاينون رسل الله التي تقبض الأرواح فهذه مصيبة، إذا من الله عليهم جل وعلا واستدركوا ما هم فيه فهذا فضل الله نعم.

القارئ: [فَيكون المَال عِنْده يَسْتَعْمِلهُ فِي حَاجته بِمَنْزِلَة حِمَاره الَّذِي يركبه وبساطه الَّذِي يجلس عَلَيْهِ بل بِمَنْزِلَة الكنيف الَّذِي يقْضى فِيهِ حَاجته من غير أَن يستعبده].

الشيخ: الكنيف الذي يقضي فيه حاجته، المال يكون بهذه المنزلة، يعني أنه إذا احتاج إلى حاجته قضاها وإلا ما يتعلق قلبه بها نعم.

القارئ: [فَيكون ﴿هلوعا إذا مَسّه الشَّرّ جزوعا وَإِذا مَسّه الْخَيْر منوعا﴾ [١٩-٢١ المعارج] .

وَمِنْهَا مَا لَا يحْتَاج العَبْد إِلَيْهِ فَهَذَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَن يعلق قلبه بِهِ فَإِذا علق قلبه بِهِ صَار مستعبَدا لَهُ].

الشيخ: ليس معنى ذلك أنه يزهد في المال، المال للرجل الصالح صالح، نعم المال الصالح للرجل الصالح، ولكن يجب أن يكون طلبه من الله، وإذا حصل له مال أن يعمل فيه بطاعة الله جل وعلا، فيكون رفعة لدرجاته، وإذا تأملنا القرآن، وإذا فيه تقديم الجهاد للمال في جميع آيات القرآن، إلا آية واحدة فقط، جاءت في القرآن، وهي ليست على غرار الآية الأخرى، لأنها ذكرت فيها المبايعة: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾، فلما جاء الشرى قدمت الأنفس لأنها أغلى من المال، أما بقية الآيات التي فيها الأمر بالجهاد،

فالمال مقدم على الجهاد بالنفس، فلابد منه، ولكن يجب أن يكون طلبه من الطرق التي أذن الله عز وجل بها، ويجب أن يتقي الإنسان في ذلك، ولا يستعبد المال قلبه، وليس معنى ذلك أن المال لا ينبغي، والإنسان لا ينبغي أن يكون عنده المال لا، ولكن لا ينبغي أن يستولي المال على قلبه نعم.

القارئ: [وَرُبمَا صَار مُعْتَمدًا على غير الله فَلَا يبْقى مَعَه حَقِيقَة الْعِبَادَة لله وَلَا حَقِيقَة التَّوَكُّل عَلَيْهِ بل فِيهِ شُعْبَة من الْعِبَادَة لغير الله وَشعْبَة من التَّوَكُّل على غير الله وَهَذَا من أَحَق النَّاس بقوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « **تعس عبد الدِّرْهَم تعس عبد الدِّينَار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة**»، وَهَذَا هُوَ عبد هَذِه الْأُمُور فَإِنَّهُ لَو طلبهَا من الله فَإِن الله إِذا أعطَاهُ إِيَّاه رَضِي وَإِن مَنعه إِيَّاه سخط وَإِنَّمَا عبد الله من يرضيه مَا يُرْضِي الله ويسخطه مَا يسْخط الله وَيُحب مَا أحبه الله وَرَسُوله وَيبغض مَا أبغضه الله وَرَسُوله ويوالي أَوْلِيَاء الله ويعادي أَعدَاء الله تَعَالَى وَهَذَا هُوَ الَّذِي اسْتكْمل الْإِيمَان كَمَا فِي الحَدِيث: « **من أحب لله وَأبْغض لله وَأعْطى لله وَمنع لله فقد اسْتكْمل الْإِيمَان** ». وَقَالَ: « **أوثق عرى الْإِيمَان الْحبّ فِي الله والبغض فِي الله** ».

وَفِي " الصَّحِيح " عَنهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « **ثَلَاث من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله وَمن كَانَ يكره أَن يرجع إِلَى الْكفْر بعد إِذا أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى**

فِي النَّار ». فَهَذَا وَافق ربه فِيمَا يُحِبهُ وَمَا يكرههُ فَكَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا وَأحب الْمَخْلُوق لله لَا لغَرَض آخر فَكَانَ هَذَا من تَمام حبه لله فَإِن محبَّة مَحْبُوب المحبوب من تَمام محبَّة المحبوب فَإِذا أحب أَنْبيَاء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الْحق لَا لشَيْء آخر فقد أحبهم لله لَا لغيره وَقد قَالَ تَعَالَى [٥٤ الْمَائِدَة] : ﴿فَسَوف يَأْتِي الله بِقوم يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّة على الْمُؤمنِينَ أعزة على الْكَافرين﴾ .

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى [٣١ آل عمرَان] : ﴿قل إِن كُنْتُم تحبون الله فَاتبعُونِي يحببكم الله﴾ فَإِن الرَّسُول لَا يَأْمر إِلَّا بِمَا يحب الله وَلَا ينْهَى إِلَّا عَمَّا يبغضه الله وَلَا يفعل إِلَّا مَا يُحِبهُ الله وَلَا يخبر إِلَّا بِمَا يحب الله التَّصْدِيق بِهِ.

فَمن كَانَ محبا لله لزم أَن يتبع الرَّسُول فيصدقه فِيمَا أخبر ويطيعه فِيمَا أَمر ويتأسى بِهِ فِيمَا فعل وَمن فعل هَذَا فقد فعل مَا يُحِبهُ الله فَيُحِبهُ الله.

وَقد جعل الله لأهل محبته علامتين: اتِّبَاع الرَّسُول وَالْجِهَاد فِي سَبيله وَذَلِكَ لِأَن الْجِهَاد حَقِيقَة الِاجْتِهَاد فِي حُصُول مَا يُحِبهُ الله من الْإِيمَان وَالْعَمَل الصَّالح وَمن دفع مَا يبغضه الله من الْكفْر والفسوق والعصيان].

الشيخ: الجهاد أمره واسع، لأن الجهاد قد يكون جهاد للنفس، وهذا شيء لابد منه، أن يجاهد نفسه ويجاهد الشيطان، ويجاهد فيما ولاه الله إياه، وسيسأله عنه،

هذا أهم شيء، وكذلك المحبة لابد أن يكون أصلها محبة الله جل وعلا، ثم يتبعها محبة ما يحبه الله جل وعلا، لأن هذا من كمالها، من كمال محبة الله، لهذا جمع بين محبته ومحبة رسوله ﷺ، لأن محبة الرسول ﷺ تبعا لمحبة الله جل وعلا، وليست محبة مع الله، وإنما هي محبة مكملة لمحبة الله جل وعلا، هي محبة لله وفي الله، وهكذا محبة ما يحبه الله جل وعلا، وأما أنه لابد أن يكون مثلا محبا لما أحبه فيكون علامة إتباع الرسول أولا، والثانية: الجهاد، لأنه قال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾، فإتباع الرسول لابد فيه من جهاد، والجهاد أول شيء أن يجاهد نفسه على طاعات الله، ويجاهدها على الوقوع في معاصي الله، وهذا من أهم الجهاد في هذا، ثم يقوم بالشيء الذي يجب عليه مما هو لازم إلى أن يكون جهاد الكفار الذي هو من أفضل الجهاد، ولكن هذا الأول قبل كل شيء، نعم.

القارئ: [وَقد قَالَ تَعَالَى [٢٤ التَّوْبَة] : ﴿قل إِن كَانَ آباؤكم وأبناؤكم وَإِخْوَانكُمْ وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إِلَيْكُم من الله وَرَسُوله وَجِهَاد فِى سَبيله فتربصوا حَتَّى يَأْتِى الله بأَمْره﴾ فتوعد من كَانَ أَهله وَمَاله أحب إِلَيْهِ من الله وَرَسُوله].

الشيخ: تمام الآية: ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾، وهذا يدلنا على أن من كانت هذه صفته، يعني قدم هذه الأمور التي ذكرت هذه الثمانية التي ذكرت في الآية ثمانية أشياء، من كانت هذه أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فهو فاسق، فلينتظر ماذا يحل به؟ هذا الذي يعطيه قوله: تربصوا، يعني انتظروا، حتى يأتي الله بأمره، ومعنى ذلك أنه يأتي بعذاب، لأنه قال: ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾، يعني من كانت هذه صفته فهو من الفاسقين الذين يستحقون ويستوجبون عذاب الله جل وعلا، ولهذا قال: فتوعد الله من كان كذا وكذا، فهو وعيد من الله نعم.

القارئ: [فتوعد من كَانَ أَهله وَمَاله أحب إِلَيْهِ من الله وَرَسُوله وَالْجِهَاد فِي سَبيله بِهَذَا الْوَعيد بل قد ثَبت عَنهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي " الصَّحِيح " أَنه قَالَ: « وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يُؤمن أحدكُم حَتَّى أكون أحب إِلَيْهِ من وَلَده ووالده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ ». وَفِي " الصَّحِيح " أَن عمر بن الْخطاب قَالَ: يَا رَسُول الله لأَنْت أحب إِلَيّ من كل شَيْء إِلَّا من نفسى فَقَالَ: « لَا يَا عمر حَتَّى أكون أحب إِلَيْك من نَفسك » فَقَالَ: فوَالله لأَنْت أحب إِلَيّ من نَفسِي فَقَالَ: « الْآن يَا عمر ».].

الشيخ: يعني الآن وصلت إلى الواجب، الآن وصلت إلى ما يجب عليك، فهذا يدلنا على أن الإنسان إذا لم يعلم الشيء، ثم اجتهد، ثم بعد ذلك أنه كان مقصرا

فيه لأنه لا يعلمه، فإنه غير ملوم، ولكن إذا علم عليه أن يفعل ذلك، وعمر صار في الحال قال: لأنت الآن أحب إلي من نفسي، وهذا الاستعداد موجود، ولكنه ما علم أن هذا هو الذي يتعين، وهذا معناه أنه أمر واجب نعم.

القارئ: [فحقيقة الْمحبَّة لَا تتمّ إِلَّا بموالاة المحبوب وَهُوَ مُوَافَقَته فِي حب مَا يحب وبغض مَا يبغض وَالله يحب الْإِيمَان وَالتَّقوى وَيبغض الْكفْر والفسوق والعصيان].

الشيخ: يعني مستحيل أنه يقول مثلا: أنه يحب الله ثم يبعض ما يحبه الله، هذا كذب لا يمكن، إذا كان يحب الله، لابد أن تكون محابه محبوبات لله، وكذلك ما يبغضه يكون مبغضا له، أما الدعاوي التي يدعيها الناس فهذه لا تجدي شيء، نعم.

القارئ: [وَمَعْلُوم أَن الْحبّ يُحَرك إِرَادَة الْقلب فَكلما قويت الْمحبَّة فِي الْقلب طلب الْقلب فعل المحبوبات فَإِذا كَانَت الْمحبَّة تَامَّة استلزمت إِرَادَة جازمة فِي حُصُول المحبوبات فَإِذا كَانَ العَبْد قَادر عَلَيْهَا حصلها وَإِن كَانَ عَاجِزا عَنْهَا فَفعل مَا يقدر عَلَيْهِ من ذَلِك كَانَ لَهُ أجر كَأَجر الْفَاعِل كَمَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « من دَعَا إِلَى هدى كَانَ لَهُ من الْأجر مثل أجور من اتبعهُ من غير أَن ينقص من أُجُورهم شَيْء وَمن دَعَا إِلَى ضَلَالَة كَانَ عَلَيْهِ من الْوزر مثل أوزار من اتبعهُ من غير أَن ينقص من أُجُورهم شَيْء »].

الشيخ: وهذا من أجل الله جل وعلا، وليس معنى ذلك أنه يحمل ما لا يعمل، لأن الذين يتعبونه على دعوته في ضلاله عندهم عقول، عندهم أيضا أبصار يجب أن يستعملوها، ولكن إذا وافق قوله هواهم ربما يتبعونه بدون نظر، لا يكون هو فقط مثلا الذي يتحمل الوزر، ولكن مع ذلك يتحمل كثر أوزارهم، وأوزارهم أيضا عليهم، ولهذا قال: «من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»، فهذا أمر خطير جدا، لو قالوا:من دعى إلى ضلال، والدعوة إلى ضلال يدخل فيها ليس الدعوة كونه يدعوا الناس، كونه يدعوهم لكذا وكذا، مثل الإفتاء ومثل يقول: هذا أنه جائز وهو ليس متأكد، فإن الله جل وعلا يقول: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾، مثل هذا يجب أن يتثبت الإنسان فيه ويأخذ لنفسه قبل أن يثبت عليه ما لا يتحمله، نعم.

القارئ: [وَقَالَ: «إِن بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مسيرًا وَلَا قطعْتُمْ وَاديا إِلَّا كَانُوا مَعكُمْ " قَالُوا: وهم بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: " وهم بِالْمَدِينَةِ حَبسهم الْعذر »].

الشيخ: حبسهم العذر، ولكن عندهم النية وعندهم الشوق إلى القتال والجهاد في سبيل الله، وإما، إما مرضوا أو عجزوا عن النفقة نعم.

القارئ: [وَالْجِهَاد: هُوَ بـذل الوسـع - وَهُـوَ كـل مَـا يُمْلَـكُ مـن الْقُـدْرَة - فِي حُصُول مَحْبُوب الْحق، وَدفع مَا يكرههُ الْحق. فَإِذا ترك العَبْد مَا يقـدر عَلَيْـهِ مـن الْجِهَاد كَانَ دَلِيلا على ضعف محبَّة الله وَرَسُوله فِي قلبه.

وَمَعْلُوم أَن المحبوبات لَا تنَال غَالِبا إِلَّا بِاحْتِمَال المكروهـات سَـوَاء كَانَـت محبَّـة صَالِحَة أَو فَاسِدَة فالمحبون لِلْمَالِ والرئاسة والصور لَا ينالون مطالبهم إِلَّا بِضَرَر يلحقهم فِي الدُّنْيَا مَعَ مَـا يـصيبهم مـن الـضَّرَر فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَة فالمحـب لله وَرَسُوله إِذا لم يحْتَمل مَا يرى ذُو الرَّأْي من المحبين لغير الله مِمَّا يحْتَملُونَ فِي سَبِيل حُصُول محبوبهم دلّ ذَلِك على ضعف محبتهم لله إِذا كَـانَ مَـا يـسلكه أُولَئِـكَ فِي نظرهم هُوَ الطَّرِيق الَّذِي يُشِير بِهِ الْعقل.

وَمن الْمَعْلُوم أَن الْمُؤمن أَشد حبا لله قَالَ تَعَالَى [١٦٥ الْبَقَـرَة] : ﴿وَمن النَّاس من يتَّخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وَالَّذين آمَنُوا أَشد حبا لله﴾ . نعم قد يسْلك الْمُحب لضعف عقله وَفَسَاد تصَوره طَرِيقا لَا يحصل بهَا الْمَطْلُوب فَمثل هَذِه الطَّرِيق لَا تحمد إِذا كَانَت الْمحبَّـة صَـالِحَة محمـودة فَكيـف إِذا كَانَـت الْمحبَّة فَاسِدَة وَالطَّرِيق غير موصل؟! كَمَا يَفْعَله المتهورون فِي طلب الْمَال الرِّئَاسَة والصور من حب أُمُور توجب لَهُم ضَرَرا وَلَا تحصل لَهُم مَطْلُوبا، وَإِنَّمَا الْمَقْـصُود الطّرق الَّتِي يسلكها الْعقل السَّلِيم لحُصُول مَطْلُوبه].

الشيخ: يكفي، يكفي والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد.